والعافين عن الناس

العفو

من أخلاق الكبار

تأليف

أبي حمزة غازي بن سالم أفلح

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

سلسلة: ورقات في تقييد الخواطر والمقالات

الرسالة الثانية

والعافين عن الناس

العفو

من أخلاق الكبار

تأليف

أبي حمزة

غازي بن سالم أفلح

حقوق الطبع مباحة لكل مسلم

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥م

الطبعة الثالثة

تم الصف والإخراج بإشراف

دار الصابرين للتنسيق والمراجعة

a44443332@gmail.com

اليمن – الحديدة-

مركز الصابرين العلمي

للملاحظات

(واتس) (١٧١٧ ٥٨٦ ٥٠ ٩٧١ +)

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ به من شُرورِ أنفسنا، ومن سَيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لَا إله إلا الله، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد(١):

«فإنَّ أصدق الحديث كِتابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وشرَّ

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي علمها رسول الله ﷺ أصحابه، وهي سنة: يبتدأ بها في النكاح وغيره. رواها: أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢١١٨) والترمذي في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (١١٠٥) وقال: حديث حسن، والنسائي في كتاب الجمعة كيفية الخطبة (١٤٠٤) وفي كتاب النكاح - باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٣٢٧٧) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه، وجاء عن غيره وهو حديث صحيح، وللعلامة الألباني رسالة في تخريجها والكلام عليها سماه «خطبة الحاجة».

الأمور محدثاتها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار».(١)

هذه هي الرسالة الثانية، من سلسلة «**ورقات في تقييد الخواطر والمقالات**» وعنونتها بـ(**العفو من أخلاق الكبار**) فإني بعد أن كتبت الرسالة الأولى (**تكلموا فيَّ**) ناسب التذكير بهذا الخلق النبيل، ولم أقصد الاستقصاء، ولكنها خاطرة عابرة، وتذكرة سائرة.

والله المسؤول أن ينفع بها، وأن يرزقنا ويهدينا لأحسن الأخلاق، والأعمال والأقوال.

وكتبه

أبو حمزة غازي بن سالم أفلح

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

غرة رجب ١٤٤٤هـ

(١) أخرجه: مسلم (٨٦٦) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ إلَّا لفظة: «**وكل محدثة بدعة**» ولفظة «**وكل ضلالة في النار**» وهما للنسائي في سننه (١٥٧٨) بسند صحيح.

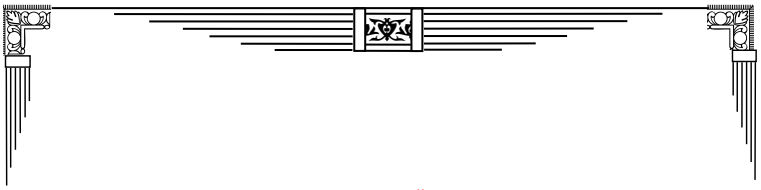

تمهيد

ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، نقي الصدر، مبرأً من وساوس الضغينة، ونيران السخيمة.

يعاشر الناس بالمودة، ويزرع بأخلاقه المحبة، ويجانب كل ما يورث الوحشة، وينأى عن كل ما يدعو إلى القطيعة وترك الألفة.

وديننا العظيم، يؤسس المسلم على أكمل الأخلاق وأحسنها، وأعلاها وأجملها. ففي التوجيهات النبوية:

[١] «**صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»(١).

[٢] «... **وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ**»(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٤٥٢) من حديث عقبة بن عامر ﷺ، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٩١).

(٢) رواه ابن الأعرابي في معجمه (١٥٠٧)، وأبو عمرو بن السماك في "حديثه " -كما في السلسلة الصحيحة (١٩١١)-، وعنه أبو علي بن شاذان في جزئه- كما في التلخيص الحبير (٤/ ١٨٩٧)-، وأبو طاهر السِّلَفِي في «المشيخة البغدادية» (٢٤ بترقيم الشاملة)، من طريق الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، [عن جده] عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: لما أن ضم إليه سلاحه يعني النبي ﷺ قال: وجدت في ذؤابة أو علاقة سيفه ثلاثة أحرف: «**صل من قطعك، وقل الحق** ...» الحديث. وأعله ابن الملقن في البدر المنير، وتبعه الحافظ في التلخيص الحبير بعلتين، الأولى: الانقطاع بين زين العابدين علي بن الحسين وجده علي ﷺ. والثانية: ضعف: حسين بن زيد وهو ابن علي بن

=

[٣] «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»(١).

وهذه الآداب النبوية جدير بالمسلم أن يقف عندها:

متأملاً، ومتفكراً، ويجاهد نفسه على تحقيقها قدر استطاعته، فهي أمور تحتاج إلى مجاهدة، ومصابرة.

- ✓ أن تصل من يقطع وصالك،
- ✓ وتعطي من حرمك،
- ✓ وتعفو عمن ظلمك ولو لم يعتذر منك،
- ✓ وأن تحسن إلى من أساء إليك.

❖ إنها أخلاقٌ عالية،

❖ إنها أخلاق الكبار،

[٤] وقد كان من دعاء نبينا ﷺ «... اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي

الحسين. وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩١١): وهذا إسناد صحيح، ... رجال الإسناد ثقات ا.هـ وفيه نظر كما تقدم. والحديث له شواهد يصح بها، ومنها حديث أبي ذر في مسند أحمد (٢١٤١٥) بسند صحيح قَالَ: «أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: ...ومنها: وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، ... » الحديث. والجملة الأخيرة شواهدها كثيرة مشهورة.

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٣١٠) من طرق عن شريك وقيس بن الربيع عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ. وصححه الحاكم في المستدرك (٢٢٩٦)، وقال: على شرط مسلم! وفي قوله هذا نظر، بينه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٢٣) والحديث حسن لغيره وله شواهد.

لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»(١).

ونحن من خلال حياتنا نجد أن الصراعات قد تقع بين الأحبة، ويحدث النزاع والاختلاف بينهم على حين غفلة، فيبادر:

- الشيطان الرجيم،
- والنفس الأمارة بالسوء،
- وشياطين الإنس

إلى رفع راية المخاصمة تحت ستار (لقد أساء إليك) فإياك أن تستسلم لهذه الدواعي.

(١) رواه الإمام مسلم (٧٧١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: (وفي رواية: كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ): «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ...» الحديث.

صاحبك ليس بمعصوم

واعلم أن حقيقة الصداقات في الدنيا لا تخلو من:

- ✓ **أمور مزعجة للنفس**
- ✓ **ومقلقة للقلب**
- ✓ **وأخطاء منفرة للطبع.**

وقد تبلغك الإساءة من أقرب قريب،

أبٍ، أو أخٍ، أو زوجةٍ، أو ولدٍ، أو صديقٍ حبيب.

فلربما نادى منادي النفس منزعجًا: (لقد أساء في حقك)، وتطاول على جنابك، ولم يقْدُر لك قدرك، كيف يجرؤ على هذا؟!!

وهكذا، تسترسل النفس،

فلا تجد عناء في تذكر مواقف ماضية،

تتوهم فيها الإساءة السابقة، لتعزز بها الحاضرة.

والأُذْنُ تَطْرَب لهذا الكلام وتسمع،

والقلب يستقبل هذا القيلَ حتى يتشرَّب ويشبعَ،

وعندها – وفي حين غفلةٍ–

- قد تنتفخ الأوداج ...
- وتجحظ العيون ...

- وتتسارع الأنفاس ...
- وتتسابق الكلمات...
- ويتلعثم اللسان ...
- مع انغلاق العقل والجَنَان، ...

حتى لا يكاد يرى لأخيه حسنة.

عرش الشيطان

فلا تسل حينئذٍ عن فرحة إبليسَ، الذي:

[٥] «يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: ... مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ فَيَلْتَزِمُهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»(١).

[٦] و«يَبُثُّ إِبْلِيسُ جُنُودَهُ -كل يوم- إِذَا أَصْبَحَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، ... فَيَخْرُجُ شَيْطَانٌ فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ آخرُ، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ آخرُ، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ»(٢).

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٣) عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ ...الحديث. وقوله: «نِعْمَ أَنْتَ» قال القاضي عياض في «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (١/ ٣٠١): «هو على حذف الخبر اختصارًا، التقدير: أنت الذي أغنيت عني، أو الذي جئت بالطامة، أو المقدم عندي، ونحو هذا من اللائق به، ويدل عليه قوله في آخر الحديث: «فَيُدْنِيهِ إِلَيْهِ فَيَلْتَزِمُهُ».

(٢) رواه ابن حبان (٦١٨٩)، والحاكم في المستدرك (٨٠٢٧)، والروياني في «مسنده» (٥٥٢) من طرق عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدثنا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الاشعري ﷺ به مرفوعا. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٠). قلت: الزبيري ثقة

=

فمع عظمة الشرك -وهو الذنب الذي لا يغفر-(١)،

وفُحشِ كبيرة الزنى، -وهو الذنب الذي يسلب صاحبه الإيمان-(٢)،

ثبت، إلا أن الإمام أحمد -وهو تلميذه- قال عنه: «كان كثير الخطإ في حديث سفيان» كما في -«تاريخ بغداد ت بشار» (٣/ ٣٩٦):- . وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبي أحمد الزبيري فقال: «حافظ للحديث عابد مجتهد له أوهام» ا.هـ - كما في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٩٧)-. وقد خولف في رفعه، فقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٤٢/ ٣٤٨٢٢) قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، عَنْ سُفْيَانَ، به موقوفا ولفظه، قَالَ: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَعَثَ جُنُودَهُ فِي الأَرْضِ فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى شَرِبَ، قَالَ: أَنْتَ، قَالَ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى، قَالَ: أَنْتَ، قَالَ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ، قَالَ: أَنْتَ**». ورواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٦) -ومن طريقه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٣٠)- قال: وأخبرني أَحْمَدُ بْنُ جَمِيلٍ الْمَرْوَزِيُّ، نا ابْنُ الْمُبَارَكِ، نا سُفْيَانُ به موقوفا، ولفظه: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ فِي الأَرْضِ فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ. فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِلُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ. وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى عَقَّ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَبَرَّ. وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى زَنَى، قَالَ: أَنْتَ. وَيَقُولُ آخَرُ: لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حَتَّى شَرِبَ الْخَمْرَ. قَالَ: أَنْتَ. قَالَ: يَقُولُ آخَرُ لَمْ أَزَلْ بِفُلانٍ حتى قتل. فيقول: أنت أنت**».

(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨و١١٦].

(٢) كما في صحيح البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**، ...»، الحديث، ورواه البخاري أيضا (٦٧٨٢) من حديث عكرمة عن ابن عباس ﷺ. ثم قَالَ عِكْرِمَةُ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ؟ قَالَ: «هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ». والحديث خرجه العلامة الألباني من طرق عن أبي هريرة ﷺ، ومتابعة ستة من الصحابة له ﷺ. فانظر السلسة الصحيحة (٣٠٠٠). **قال النووي** رحمه الله في شرح صحيح مسلم (٢/ ٤١): «الْقَوْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَفْعَلُ هَذِهِ الْمَعَاصِي =

إلا أن الشيطان:

- ✓ احتفى بصاحب الخصومة الذي بلغت به مع صاحبه القتل،
- ✓ ويلبسه تاجه إيذانـًا بمحبته وفرحه للتحريش بين الناس.

[٧] وقد روى البخاري عنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»(١).

[٨] وقالَ ابن عمر رضي الله عنهما: «**إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ**»(٢).

والعفو:

- ✓ يدفع الله تعالى به عن الإنسان كيد شيطانه
- ✓ وكيد شيطان صاحبه،

وَهُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ وَهَذَا مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُطْلَقُ عَلَى نَفْيِ الشَّيْءِ وَيُرَادُ نَفْيُ كَمَالِهِ وَمُخْتَارِهِ كَمَا يُقَالُ لَا عِلْمَ إِلَّا مَا نَفَعَ وَلَا مَالَ إِلَّا الْإِبِلُ وَلَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ» ا.هـ.
وقال شيخ الإسلام رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٧٦): الزَّانِي وَالسَّارِقُ وَالشَّارِبُ وَالْمُنْتَهِبُ لَمْ يَعْدَمْ الْإِيمَانَ الَّذِي بِهِ يَسْتَحِقُّ أَلَّا يُخَلَّدَ فِي النَّارِ وَبِهِ تُرْجَى لَهُ الشَّفَاعَةُ وَالْمَغْفِرَةُ وَبِهِ يَسْتَحِقُّ الْمُنَاكَحَةَ والموارثة لَكِنَّ عَدَمَ الْإِيمَانِ الَّذِي بِهِ يَسْتَحِقُّ النَّجَاةَ مِنْ الْعَذَابِ وَيَسْتَحِقُّ بِهِ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ وَقَبُولَ الطَّاعَاتِ وَكَرَامَةَ اللهِ وَمَثُوبَتَهُ؛ وَبِهِ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مَحْمُودًا مَرْضِيًّا. وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ. وَاَللهُ أَعْلَمُ ا.هـ

(١) صحيح البخاري (٦٨٦٢)

(٢) رواه البخاري (٦٨٦٣)، واستدركه الحاكم على الصحيحين (٨٠٢٩) وقال: لم يخرجاه. ا.هـ وتعقبه الحافظ في إتحاف المهرة (٨/ ٤٥٥) فقال: قد أخرجه البخاري. ا.هـ

✓ كما أنه يقطع السبيل على شياطين الإنس.

[٩] وقد روى البزار -بسند ضعيف- عَن أَنَس ﷺ؛ أَن النَّبِيّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يَصْطَرِعُونَ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ هَذَا فُلانٌ الصَّرِيعُ مَا يُصَارِعُ أَحَدًا إِلاّ صَرَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ: رَجُلٌ ظَلَمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَغَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَ صاحبه**»(١).

[١٠] وقد جاء معناه في الصحيحين عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»(٢).

[١١] وروى النسائي في الكبرى عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّدِيدَ لَيْسَ مَنْ غَلَبَ الرِّجَالَ، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ**»(٣).

---

(١) رواه البزار في «مسنده البحر الزخار» (١٣/ ٤٧٥) رقم (٧٢٧٢) من طريق عمران القطان، عن قتادة عن أنس. وعمران مختلف فيه، وهو إلى الضعف أقرب، قال البخاري: صدوق يهم، وقال الدارقطني: كان كثير المخالفة والوهم، وقال ابن عدي: وهو ممن يكتب حديثه يعني في المتابعات والشواهد. وليس هو بالثبت في قتادة. وقتادة مدلس وقد عنعن.

(٢) رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٣/ ١٠١٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٧١٧) من طريق هنادِ بْنِ السَّرِيِّ -وهو عنده في كتاب الزهد (٢/ ٦٠٨)-، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ سَعِيدٍ وَهُوَ ابْنُ مَسْرُوقٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، به. وتابعه أبو داود الطيالسي فرواه كما في مسنده

=

[١٢] وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟**» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا**» قَالَ: «**فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟**» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «**لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»(١).

(٢٦٤٨) عن سلام أبي الأحوص به. ومن طريق أبي الأحوص: رواه إسحاق ابن راهويه (٥١٦)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٦١) -ومن طريقه البيهقي في الزهد الكبير (٣٧٠)- ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٦٤٥)، والخرائطي في اعتلال القلوب للخرائطي (٦٣)، والآجري في أدب النفوس (٥).

(١) رواه مسلم (٢٦٠٨).

القرين المَلَكِي

ومن رحمة الله بنا أنه تعالى وكَلَ بابن آدم ملكًا يدعوه للخير.

[١٣] قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ**» رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه (١).

وهذا القرين المَلَكي له بابن آدم لَمَّةٌ -أي قربٌ ودنوٌ-، كما أن للقرين الجني لمَّة.

فقرين الملائكة يدعو صاحبه للخير ويذكره ويحُثُّه عليه ويُبيِّنُ له.

وقرين الجن يدعوه إلى الباطل.

ومن كان منهما أقرب إلى ابن آدم، كان تأثيره أعظم.

[١٤] قال ابن مسعود رضي الله عنه -وروي مرفوعًا-: «**إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّة، -واللمَّةُ تَعْنِي: القُرْبَ والدُّنُوّ- فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ

(١) صحيح مسلم (٢٨١٤).

يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ [البقرة] (١).

فإذا حصل التحريش من الشيطان بين المسلم وأخيه يجد المؤمن في نفسه داعيًا يناديه: (لئن أساء صاحبك مرة فقد أحسن مرات).

وهذه الكلمة لا تسمعها النفسُ الأمارة بالسوء،

ولا يترك لك القرين من الجن مجالاً لاستثمارها.

وداعي الخير يردد ويعيد:

(لئن أساء أخوك مرة فقد أحسن مرات، فقارن إحسانه المتكرر بإساءته هذه قبل أن تحكم).

وقد قيل:

مَـن ذَا الَّـذي مَـا سـاءَ قـطْ وَمَـن لَـهُ الـحُسـنَى فَـقَـطْ؟

فجرب -أخي المسلم-:

- أن تستعرض إحسان هذا المسيء
- وتذكرَ أياديه البيضاء،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٨) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وقال في العلل (ترتيبه (٦٥٤): سَأَلْتُ مُحَمَّدًا -يعني البخاري- عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ وَأَوْقَفَهُ. ا.هـ. وعطاء مختلط وكان يرويه تارة مرفوعا وتارة موقوفا. ورجح أبو حاتم وأبو زرعة وقفه. انظر: العلل لابن أبي حاتم (٢٢٢٤)، وقال الألباني **له حكم الرفع**؛ انظر: المسند المصنف المعلل (١٩/ ٤١) وهداية الرواة (١/ ٨٧-٨٨).

- وخاطب نفسك بما رأته من سالف العهد الحميد.
- ولا تكن كَنُوداً[١]،

فإنكَ -لا شك- واجدٌ له من الحسنات ما يكون له شفيعًا.

[١٥] وقد قيل: « **الْجَاهِلُ بِمَنْزِلَةِ الذُّبَابِ الَّذِي لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْعَقِيرِ**[٢] **وَلَا يَقَعُ عَلَى الصَّحِيحِ، وَالْعَاقِلُ يَزِنُ الْأُمُورَ جَمِيعًا**»[٣].

(١) الكَنُود هو الجَحُود، الذي يعدد المصائب وينسى النعم. وقيل هو اللوَّام.

(٢) يعني الجريح.

(٣) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١٥٠).

القرين الجني

ولا تترك مجالاً للقرين من الجنّ وهويصرخ بك -موسوسًا-:

- ✓ لا تكن ساذجا،
- ✓ إنَّ إساءته كبيرةٌ لا تُغْتَفَر بل هي فوق كل إساءة،
- ✓ إنه أخطأ خطأً كبيرا وقارف منكرا عظيما، فلا ينبغي أن يُتَجَاوز عنه ولا يَصلحُ أن يُغفر له.
- ✓ لقد تسبب لك في الأذى، ونشر عنك مقالة السوء والردى،

وربما عززت في نفسك هذا الجانب بأن الله تعالى يقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى].

فانتبه ثم انتبه! وجاهد نفسك لتكون آخذا بالحسنى.

وقل لنفسك: نعم لقد أذن الله تعالى بالمجازاة، ولكنه سماها سيئة -وإن كان من باب المشاكلة-، ثم إن تمام الآيات: ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى].

ردد كثيرا وتفكر وتدبر: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

[١٦] يقول إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل ﷺ -وكان قد أوذي وضرب في المحنة المشهورة بخلق القرآن-: مررت بهذه الآية: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما حَدَّثَنِي به هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، حَدَّثَنِي الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ الْحَسَنَ، يَقُولُ: «**إِذَا جَثَتِ الْأُمَمُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُودُوا: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا**»(١). ثم قال الإمام أحمد: فَجَعَلْتُ الْمَيِّتَ(٢) فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِهِ إِيَّايَ؛ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: (وَمَا عَلَى رَجُلٍ أَنْ لَا يُعَذِّبَ اللهُ بِسَبَبِهِ أَحَدًا)(٣).

---

(١) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٢٧٧) عن المبارك، عن الحسن مرفوعا مرسلا، ووصله البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٥٢٤ ط الرشد)، والخطيب في تاريخه (٧/ ٧٢/ بشار) عن المبارك قال حدثنا الحسن، عن عمران بن الحصين مرفوعا، وسنده ضعيف كما في السلسلة الضعيفة (٦/ ٩٣). ورواه الخطيب (١٣/ ٣٠) أيضا عن ابن عباس ولا يصح. ورواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٧٦) عَنْ غَالِبٍ الْقَطَّانِ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مرفوعا: «**إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ نَادَى مُنَادٍ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يُنَادِي الثَّانِيَةَ: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، قِيلَ: مَنِ الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللهِ؟ قَالَ: الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**» وسنده ضعيف. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢٧٧، ٢٥٨٣).

(٢) يعني الخليفة المعتصم، وهو أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ ابْنُ الرَّشِيْدِ هَارُوْنَ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ بنِ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ، وكان قد أمر بضربه وتعذيبه ظلمًا.

(٣) ينظر: «سيرة الإمام أحمد ابن حنبل - لابنه صالح» (ص٦٥)، و«مكارم الأخلاق للخرائطي» (٣٧٩) و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم» (٩/ ٢٠٤).

[١٧] وذكر ابن الجوزي بسنده عن أبي علي الحسين بن عبد الله الخِرَقِي- وقد رأى أحمد ابن حنبل -قال: «بِتُّ مع أحمد ابن حنبل ليلةً؛ فلم أره ينام إلا يَبكي إلى أن أصبح، فقلت: أبا عبد الله، كثر بُكاؤك الليلة، فما السبب فقال لي: ذكرتُ ضرب المعتصم إياي ومرَّ بي في الدَّرس: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾، فسجدت وأحللته من ضربي في السجود. **ثم أسند عن إبراهيم الحربي**، أنه قال: «**أحلَّ أحمدُ ابن حنبل من حَضر ضربَه وكلَّ من شايع فيه والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي دُؤاد داعية لأحللته**»(١).

حقـًا إنها أخلاق الكبار العظماء!!

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى] حث عظيم على الصبر وكظم الغيظ،

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «**وَفِي الصَّبْرِ احْتِمَالُ الْأَذَى، وَكَظْمُ الْغَيْظِ، وَالْعَفْوُ عَنْ النَّاسِ، وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى، وَتَرْكُ الْأَشِرِ وَالْبَطَرِ**»(٢).

وقال ربنا سبحانه ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل: ١٢٦].

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٦٧).

(٢) «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» (ص١٧٤ ط عطاءات العلم).

من حديث النفس

فإن حدثتك نفسك: ألم يقل ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الشورى].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى].

وقد قيل:

إِذَا اسْتَمَرَّ عَلَى حَمْلِ الأَذَى أَسَدٌ تَنْسَى الكِلَابُ وَيَنْسَى أَنَّهُ أَسَدُ

فقل لها: عليكِ الهوينا:

فهذه الدنيا أحقر من أن نتقاطع من أجلها.

ثم إني قلَّبت النظر في إساءته، فلم أرها تمس ديني ولا عقيدتي. وتأملتُ فرأيت أن لها محامل قد يعتذر له بها وإن لم تقنعني.

- ✓ لئن أساء فكم قد أحسن،
- ✓ ولئن أخطأ فإن له من الحسنات الكبيرة عندي ما يشفع له.

وتذكر أنه لم يكنْ الصاحبُ -يومـًا- مَلَكـًا كريمـًا لا يخطئ، ولكنه بشرٌ من البشر يغضب ويحزن، ويصيب ويخطئ.

تفسير الآية ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

وقل لنفسكَ: أما الآية التي ذكرتِ، **فإنها في مدح العافين مع القدرة، من غير ذلة ولا مهانة.**

[١٨] قَالَ إِبْرَاهِيمُ النخَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا فَإِذَا قَدَرُوا عَفَوْا**»(١).

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الشورى] يَمْدَحُهُمْ بِأَنَّ فِيهِمْ هِمَّةَ الِانْتِصَارِ لِلْحَقِّ وَالْحَمِيَّةَ لَهُ؛ لَيْسُوا بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ يَعْفُونَ عَجْزًا وَذُلًّا؛ بَلْ هَذَا مِمَّا يُذَمُّ بِهِ الرَّجُلُ وَالْمَمْدُوحُ الْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالْقِيَامُ لِمَا يَجِبُ مِنْ نَصْرِ

---

(١) علقه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٨٦٤ ت البغا)، وهو موصول في «تفسير سفيان الثوري» (٨٦٦)، و«تفسير ابن عيينة» -كما في "تغليق التعليق" (٣/ ٣٣٢)- ومن طريقهما سعيد بن منصور في سننه (١٩٢٢و١٩٢٣/ ط الألوكة)-، كلاهما (السفيانان) عن منصور عن إبراهيم به. ومن طريق الثوري رواه عبد بن حميد في تفسيره -كما في «تغليق التعليق»- ، ومن طريق ابن عيينة رواه ابن أبي حاتم في تفسيره -كما في «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧/ ٢١٠)- قال: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، عن زائدة، عن منصور به، -فزاد في سنده زائدة-، ومن رواه عن سفيان عن منصور بلا واسطة أثبت، وهو الإمام سعيد بن منصور، ورواه المحاملي من طريق الأعمش عن إبراهيم به كما في تغليق التعليق.

الْحَقِّ لَا مَعَ إِهْمَالِ حَقِّ اللهِ وَحَقِّ الْعِبَادِ. وَاَللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ»(١).

وقال أيضـًا: « فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ، **وهو أنه حمدهم على أنهم** : ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ **عِنْدَ الْبَغْيِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّهُمْ هُمْ يَعْفُونَ عِنْدَ الْغَضَبِ،** لَيْسُوا مِثْلَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قُوَّةُ الِانْتِصَارِ وَفِعْلُهُ؛ لِعَجْزِهِمْ أَوْ كَسَلِهِمْ أَوْ وَهَنِهِمْ أَوْ ذُلِّهِمْ أَوْ حُزْنِهِمْ، فَإِنَّ أكثر من يترك الانتصار بالحق إنَّمَا يَتْرُكُهُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ وَأَشْبَاهِهَا، وَلَيْسُوا مِثْلَ الَّذِي إذَا غَضِبَ لَا يَغْفِرُ وَلَا يَعْفُو، بَلْ يَتَعَدَّى أَوْ يَنْتَقِمُ حَتَّى يُكَفَّ مِنْ خَارِجٍ، كَمَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ إذَا غَضِبُوا وَقَدَرُوا لَا يَقِفُونَ عِنْدَ الْعَدْلِ فَضْلًا عَنْ الْإِحْسَانِ، فَحَمِدَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ وَ«هُمْ يَغْفِرُونَ»، ...إلخ»(٢).

وقال شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قيل: فكيف مدَحهم على الانتصار والعفو، وهما متنافيان؟

قيل: لم يمدَحْهم على الاستيفاء والانتقام، وإنما مدحهم على الانتصار، وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم، فهذا هو الانتصار، فلما قدروا ندَبهم إلى العفو. قال بعض السلف في هذه الآية: «**كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا فَإِذَا قَدَرُوا عَفَوْا**»(٣). فمدَحهم على عفو بعد قدرة، لا على عفو ذلٍّ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٧٤).

(٢) نقله عنه تلميذه شمس الدين ابن مفلح المقدسي كما في «الفروع» (١٠/ ١٦٨).

(٣) عن إبراهيم النخعي، وقد تقدم تخريجه رقم (١٨)

وعجز ومهانة»(١).

وقال الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن كثير رحمه الله:

«أَيْ: فِيهِمْ قُوَّةُ الِانْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَاعْتَدَى عَلَيْهِمْ، لَيْسُوا بِعَاجِزِينَ وَلَا أَذِلَّةٍ، بَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى الِانْتِقَامِ مِمَّنْ بَغَى عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانُوا مع هذا إذا قدروا عفوا: كَمَا قَالَ يُوسُفُ، عليه السلام، لِإِخْوَتِهِ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يُوسُف]، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مُؤَاخَذَتِهِمْ وَمُقَابَلَتِهِمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ إِلَيْهِ»(٢).

(١) «الروح - ابن القيم» (٢/ ٦٧٩ ط عطاءات العلم).

(٢) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٧/ ٢١١).

عفو الأنبياء

وتأمل في عفو العظماء وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام:

فهذا نبي اللهِ يُوسُفُ عليه السلام، يقول لِإِخْوَتِهِ -بعد أن صنعوا ما صنعوا-: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يُوسُف]، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مُؤَاخَذَتِهِمْ وَمُقَابَلَتِهِمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ إِلَيْهِ.

وإنه لا يخفى على أحد ما صنع إخوة يوسف عليه السلام به، فإنهم كادو له وتآمروا عليه، حسدا وبغيا، لمنزلته من أبيه يعقوب عليه السلام. ثم دبروا وتآمروا على قتله أو الخلاص منه، حتى أفضى ذلك بهم إلى إلقائه في الجبِّ، ثم بيعه بثمن بخس، والتفريق بينه وبين أبيه سنين عددا. وغير ذلك. فلما التقى يُوسُفُ بأبيه يعقوب عليهما السلام وإخوته قال لهم: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ قال بعض أهل التفسير: «ذكر الخروج من السجن، ولم يذكر الجُبَّ -مَعَ أَنَّ النِّعْمَةَ فِيهِ أعظم-، لكيلا يستحيي إخوته وحتى لا يكون في ذكره توبيخ وتقريع لهم بعد قوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾ والكريم يُغْضِي ولا سيما في وقت الصفاء»[(١)].

(١) ينظر: «لباب التفاسير للكرماني» (ص٨٨٧ بترقيم الشاملة)، و«تفسير العز بن عبد السلام» (٢/ ١٤١)، و«تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٣/ ١٧٧)، و«تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٢/ ١٣٥)، و«البرهان في علوم القرآن للزركشي» (٣/ ٦٦).

نبيٌّ يعفو عن قومه
وقد ضربوه بل ويدعو لهم

[١٩] وقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» متفق عليه(١).

[٢٠] ورُوي عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [يَومَ أُحُدٍ]: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**» رواه ابن حبان(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٢) حديث معل، رواه ابن حبان (٩٧٣)، ويعقوب في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٣٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٩٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٤٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ١٢٠/ ٥٦٩٤)، والآجري في «الشريعة» (١٠٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٧٦) من طرق عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن الزهري عن سهل به. والزيادة ليعقوب والطبراني والآجري. وقال الدارقطني كما في «أطراف الغرائب والأفراد» (٣/ ٩١): «تفرد بِهِ مُحَمَّد بن فليح عَن مُوسَى».ا.هـ. وله طريق أخرى رواها الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٦٢/ ٥٨٦٢) بسند صحيح عن زُهْرَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعْبَدٍ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلٍ. وزهرة مجهول حال. وقال الألباني كما في التعليق «هداية الرواة» (٥/ ٦٠): «ويروى أنه ﷺ قال مثل ذلك في قومه، ولم يصحّ». ثم تبين له ثبوته فحسنه بالمجموع في «السلسلة الصحيحة» (٧/ ٥٣١). وحسنه شيخنا الوادعي في «الجامع الصحيح مما ليس في

=

ثم قال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ :

«يَعْنِي هَذَا الدُّعَاءُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا شُجَّ وَجْهُهُ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي**» ذَنْبُهُمْ بِي مِنَ الشَّجِّ لِوَجْهِي، لَا أَنَّهُ دُعَاءٌ لِلْكُفَّارِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلَوْ دَعَا لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ لَأَسْلَمُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَا مَحَالَةَ» ا.هـ.

وقال شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«جمع في هذه الكلمات أربَعَ مقاماتٍ من الإحسان، قابَلَ بها إساءَتهم العظيمةَ إليه:

- أحدها: عفوه عنهم.
- والثاني: استغفاره لهم.
- الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.
- الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: «**اغفرْ لِقَوْمِي**»،

كما يقولُ الرجلُ لمن يشفعُ عندَهُ فيمن يَتَّصِلُ به: هذا ولدي، ...، فَهَبْهُ لي» ا.هـ[1].

الصحيحين» (١٥٦٦). قلت: والحديث أصله في الصحيحين في قصة: «**جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأنه كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ**» ليس فيه الدعاء المذكور. هكذا رواه جماعة من الثقات عن أبي حازم عن سهل به، وهو الصواب.

(١) «بدائع الفوائد - ط عطاءات العلم» (٢/ ٧٧٣).

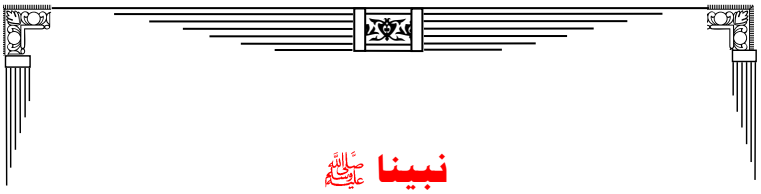

نبينا ﷺ
يعفو عن ثمانين رجلا هَمُّوا بقتله

[٢١] وفي صحيح الإمام مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه «**أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِّحِينَ، يُرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَهُمْ سَلَمًا فَاسْتَحْيَاهُمْ**(١)...» الحديث(٢).

فرَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا قَدَرَ عَلَيْهِمْ مَنَّ عَلَيْهِمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الِانْتِقَامِ.

---

(١) قوله (فَاسْتَحْيَاهُمْ)؛ أي: أبقاهم أحياءً، وتركهم، ولم يُعاقبهم بالقتل، ولا بغيره. وقوله: (فَأَخَذَهُمْ سَلَمًا)، قال النووي في شرحه على مسلم (١٢/ ١٨٧): «ضَبَطُوهُ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا بِفَتْحِ السِّينِ وَاللَّامِ وَالثَّانِي بِإِسْكَانِ اللَّامِ مَعَ كَسْرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا ...والرِّوَايَةُ الْأُولَى أَظْهَرُ وَمَعْنَاهَا أَسَرَهُمْ وَالسَّلَمُ الْأَسْرُ وَجَزَمَ الْخَطَّابِيُّ بِفَتْحِ اللَّامِ وَالسِّينِ قَالَ وَالْمُرَادُ بِهِ الِاسْتِسْلَامُ وَالْإِذْعَانُ ...إلخ».

(٢) صحيح مسلم (١٨٠٨).

نبينا ﷺ
يعفو عن أعرابي همَّ بقتله

[٢٢] روى البخاري عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، وَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ يَوْمًا يَعْنِي فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ قَالَ جَابِرٌ: «فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُونَا، فَأَجَبْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا**»، **فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: «اللهُ»، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: «اللهُ»، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: «اللهُ»، فَشَامَ السَّيْفَ**[(١)]**، وَجَلَسَ**»، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ. رواه البخاري ومسلم والنسائي في الكبرى والسياق له[(٢)].

[٢٣] وفي مسند أحمد عنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى

---

(١) (فَشَامَ السَّيْفَ)؛ أي: أغمده، وهو من باب ضرب، ويقال أيضًا: شام السيف: إذا استلّه من غمده، فهو من الأضداد.

(٢) رواه البخاري (٢٩١٠)، ومسلم (٨٤٣)، والنسائي في الكبرى (٨٧١٩).

رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**» قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ، قَالَ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ، ...الحديث(١).

قال الحافظ: «(**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**) اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ أَيْ لَا يَمْنَعُكَ مِنِّي أَحَدٌ؛ لِأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ كَانَ قَائِمًا وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ لَا سَيْفَ مَعَهُ. وَيُؤْخَذُ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْأَعْرَابِيِّ لَهُ فِي الْكَلَامِ أَنَّ اللهَ ﷻ مَنَعَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْهُ، وَإِلَّا فَمَا أَحْوَجَهُ إِلَى مُرَاجَعَتِهِ مَعَ احْتِيَاجِهِ إِلَى الْحَظْوَةِ عِنْدَ قَوْمِهِ بِقَتْلِهِ. وَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَوَابِهِ «اللهُ»، أَيْ: يَمْنَعُنِي مِنْكَ، إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ أَعَادَهَا الْأَعْرَابِي فَلم يزده على ذَلِك الْجَوَاب وَفِي ذَلِكَ غَايَةُ التَّهَكُّمِ بِهِ وَعَدَمُ الْمُبَالَاةِ بِهِ أَصْلًا ... وَفِي الْحَدِيثِ فَرْطُ شَجَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُوَّةُ يَقِينِهِ وَصَبْرُهُ عَلَى الْأَذَى وَحِلْمُهُ عَنِ الْجُهَّالِ» ا.هـ(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٣/ ١٩٣) رقم (١٤٩٢٩)، وصححه ابن حبان (٢٨٨٣)، والحاكم (٤٣٢٢) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ا.هـ. وفيه نظر: فإن سليمان بن قيس لم يخرجا له وهو ثقة. وأعل السند بالانقطاع، فأبو بشر -وهو جعفر بن أبي وحشية- لم يسمع من سليمان بن قيس اليشكري، كما ذكر الإمام البخاري فيما نقله عنه الترمذي في جامعه عقب الحديث (١٣١٢) وروايته عنه من صحيفته عن جابر.

(٢) فتح الباري (٧/ ٤٢٧و٤٢٨).

نبينا ﷺ
يعفو عمن سحره

وَكَذَلِكَ عَفَا ﷺ عَنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ اليهودي، الَّذِي سَحَرَهُ، عليه السلام، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَعْرِضْ لَهُ، وَلَا عَاتَبَهُ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ.

[٢٤] ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ[(١)]، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[(٢)]، قَالَ:**

---

(١) أي: هو مسحور.

(٢) (فِي مُشْطٍ) بضم الميم، ويجوز كسرها، وهو الآلة المعروفة التي يُسَرَّح بها شعر الرأس واللحية، وهذا هو المشهور، (وَمُشَاطَةٍ) بضم الميم: ما يخرج من الشعر إذا مُشِط.

وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ[(١)]، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ». قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ [وفي رواية: أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ]؟ قَالَ: «لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»[(٢)].

(١) (وجف) وفي رواية (وجب) وهو شيء يُنقر من جذوع النخل (وطلعة ذكر) هو الغِشاء الذي يكون على الطلع.

(٢) صحيح البخاري (٣٢٦٨) وصحيح مسلم (٢١٨٩).

نبينا ﷺ يعفو عن يهودية وضعت له السمَّ في طعامه

[٢٥] وَكَذَلِكَ عَفْوُهُ، عليه السلام، عَنِ اليهود الذين صنعوا له شاة مسمومة يريدون قتله(١).

[٢٦] وقال لأصحابه رضي الله عنهم «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي: لِلذِّرَاعِ -يعني بالسمّ-**»(٢).

[٢٧] وعفوه ﷺ أيضا عنْ الْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ -وَهِيَ زَيْنَبُ أُخْتُ مِرْحَبٍ الْيَهُودِيِّ الْخَيْبَرِيِّ الَّذِي قَتَلَهُ مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ-الَّتِي سَمَّتِ الذِّرَاعَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَأَخْبَرَهُ الذِّرَاعُ بِذَلِكَ، فَدَعَاهَا فَاعْتَرَفَتْ فَقَالَ: «**مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ**» قَالَتْ: أَرَدْتُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْكَ(٣)،

---

(١) أخرج البخاري (٣١٦٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ**» فَجُمِعُوا لَهُ، ...فذكر الحديث وفيه: قَالَ ﷺ لهم: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**»، قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٠)، والدارمي (٦٩) من حديث جابر رضي الله عنه وفيه: قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ**» وفيه: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي: لِلذِّرَاعِ**» ورواه أبو داود (٤٥١٢) أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٨٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما. وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (٦/ ٣٢٦): تفرد به أحمد، وإسناده حسن ا.هـ ووافقه العلامة الألباني كما في =

فَأَطْلَقَهَا، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَكِنْ لَمَّا مَاتَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بن معْرُور ﷺ قَتَلَهَا بِهِ(١).

[٢٨] وقال ﷺ لعائشة: -فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ-: «**يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ**»(٢).

السلسلة الضعيفة (١٣/ ٩٩٠)، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٩٦٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرج البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) عَنْ أنس ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ**» قَالَ: - أَوْ قَالَ - «**عَلَيَّ**» قَالَ قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «**لَا**»، قَالَ أنس ﷺ: «**فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**».

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٦٧) من حديث حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ. أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً دَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابًا لَهُ عَلَى شَاةٍ مَصْلِيَّةٍ، فَلَمَّا قَعَدُوا يَأْكُلُونَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لُقْمَةً فَوَضَعَهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «**أَمْسِكُوا، إِنَّ هَذِهِ الشَّاةَ مَسْمُومَةٌ**» فَقَالَ لِلْيَهُودِيَّةِ: **وَيْلَكِ لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّمْتِنِي**؟ قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَنْ أُرِيحَ النَّاسَ مِنْكَ، وَأَكَلَ مِنْهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ فَمَاتَ، فَقَتَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. واختلف في وصله وإرساله. تابعه عباد بن العوام -وهو ثقة- عند البيهقي عن محمد بن عمرو. وأرسله خالد الواسطي عند أبي داود (٤٥١١) -في رواية- وإسماعيل بن جعفر كما في حديث علي بن حجر عنه (٢٢١)، وجعفر بن عون عند الدارمي (٦٨) كلهم عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلا. وانظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٩٧).

(٢) علقه البخاري (٣١٦٩) بصيغة الجزم ووصله الحاكم (٤٣٩٣).

[٢٩] وكان سببًا في موته ﷺ(١).

[٣٠] وعن حلمه وعظيم عفوه وصبره ﷺ تقول أمنا عَائِشَة رضي الله عنها: «... **وَاللهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ**»(٢).

(١) أخرج البخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) عَنْ أنس رضي الله عنه: ...قَالَ: «**فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**».

(٢) رواه البخاري (٦٧٨٦) -واللفظ له- ومسلم (٢٣٢٧).

خدمة أنس بن مالك ﷺ لنبينا ﷺ

وتأمل في حِلمِ النبي ﷺ وحسن معاملته لأنس ﷺ وهو غلام صغير:

[٣١] فعن عَبْدِ العَزِيزِ بنِ صُهْيبٍ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَنَسًا غُلاَمٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: «**فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟**»(١).

[٣٢] وقالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، [لَيْسَ كُلُّ أَمْرِي كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي يَكُونُ] فَـ(وَاللهِ)، مَا قَالَ لِي: أُفٍّ (قَطُّ)، وَلاَ (قَالَ لِي لِشَيْءٍ مِمَّا يَصْنَعُهُ الْخَادِمُ): لِمَ صَنَعْتَ؟ (لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟) وَلاَ: أَلَا صَنَعْتَ (وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا) [وَلَا لَامَنِي، فَإِنْ لَامَنِي بَعْضُ أَهْلِهِ قَالَ: «دَعْه، مَا قُدِّرَ فَهُوَ كَائِنٌ، أَوْ مَا قُضِيَ فَهُوَ كَائِنٌ]**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٩) وما بين قوسين منه. والزيادة الأولى بين معكوفين رواها ابن المبارك كما في الزهد والرقائق (٦١٦) عن سليمان بن المغيرة

=

[٣٣] وعن سَعِيد ابْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ أنه قَالَ: «... **فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطُّ**»(١).

[٣٤] وعنْ عِمْرَانَ الْبَصْرِيِّ الْقَصِيرِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «... **فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ، فَلَامَنِي، فَإِنْ لَامَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ قُدِّرَ - أَوْ قَالَ: لَوْ قُضِيَ - أَنْ يَكُونَ كَانَ**»(٢).

[٣٥] وعَنْ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «... **فَمَا بَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ لَمْ تَتَهَيَّأْ إِلَّا قَالَ: لَوْ قُضِيَ لَكَانَ، أَوْ لَوْ قُدِّرَ لَكَانَ**»(٣).

[٣٦] وقال إِسْحَاقُ بن عبد الله بن أبي طلحة: قَالَ أَنَسٌ ﷺ «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ!**

عن ثابت به. والزيادة الأخيرة بين معكوفين رواها عبد الرزاق في«مصنفه» (٩/ ١٧٧ ط التأصيل الثانية)- ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ١٢٥)- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ فذكره. ورواها الإمام أحمد في المسند (١٣٤١٨) من طريق عِمْرَانَ الْبَصْرِيُّ الْقَصِيرُ، عَنْ أَنَسٍ. ورواها ابن حبان كما في «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٧١٧٩) بسند صحيح عن ثُمَامَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «... فَمَا بَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ لَمْ تَتَهَيَّأْ إِلَّا قَالَ: «**لَوْ قُضِيَ لَكَانَ أَوْ لَوْ قُدِّرَ لكان**».

(١) رواه مسلم (٢٣٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣٤١٨) عن جَعْفَرِ بنِ برقانَ قالَ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ الْبَصْرِيُّ الْقَصِيرُ، عَنْ أَنَسٍ به. وعمران هذا ضعيف كما في التقريب، ذكره تمييزا.

(٣) رواه ابن حبان (٧١٧٩) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى مِنْ كِتَابِهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عَزْرَةَ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ ثُمَامَةَ، به. وإسناده صحيح. ومن هذا الطريق رواه البيهقي في القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٢٠٠).

وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ، أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ»(١).

قلت: وهذا الخلق لا يقدر عليه إلا العظماء الكبار الموفقون.

[٣٧] قالَ رَجَاءُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ: «الْحِلْمُ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْعَقْلِ»(٢).

[٣٨] وقال: «الْحِلْمُ أَرْفَعُ مِنَ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَسَمَّى بِهِ»(٣).

[٣٩] وقال الحسن في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان]، قَالَ: «حُلَمَاءُ وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَجْهَلُوا»(٤).

(١) رواه مسلم (٢٣٠٩).

(٢) «الحلم لابن أبي الدنيا» (٥).

(٣) «الحلم لابن أبي الدنيا» (١٥).

(٤) «الزهد لأحمد بن حنبل» (١٦٥٤)، «الحلم لابن أبي الدنيا» (١٠)، و«تفسير الطبري جامع البيان – ط هجر» (١٧/ ٤٩٢).

من سير السلف

ثم قل لنفسك: أما لكِ -يا نفسُ- في سيرة السلف من مقنع:

[٤٠] ذُكرَ أن أبا ذر ﷺ قال لغلامه: «**لِمَ أرسلتَ الشاةَ على علف الفرس؟**» قال: أردت أن أغيظك. قال: «**لأجمعن مع الغيظ أجراً: أنت حر لوجه الله تعالى**»(١).

[٤١] وَعَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ، كَانَتْ لَهُ زِنْجِيَّةٌ قَدْ غَمَّتْهُمْ بِعَمَلِهَا، فَرَفَعَ عَلَيْهَا السَّوْطَ يَوْمًا، فَقَالَ: «**لَوْلَا الْقِصَاصُ لَأَغْشِيكِ بِهِ، وَلَكِنِّي سَأَبِيعُكِ مِمَّنْ يُوَفِّينِي ثَمَنَكِ، اذْهَبِي فَأَنْتِ لِلَّهِ**»(٢).

[٤٢] وشتم رجل ابنَ عباس ﷺ فلما قضى مقالته، قال ابن عباس ﷺ لمولاه: «**يا عكرمة، انظر هل للرجل حاجة فنقضيها؟**» فنكس الرجل رأسه واستحى(٣).

[٤٣] وكان ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ يَقُولُ: «**مَا بَلَغَنِي عَنْ أَخٍ لِي مَكْرُوهٌ قَطُّ إِلَّا**

---

(١) «البصائر والذخائر للتوحيدي» (٨/ ٣٥)، و«ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري» (٢/ ٢٢٧).

(٢) «الطبقات الكبرى - ط دار صادر» (٧/ ٢٦٦)، وما بين قوسين من «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٣/ ٣٩).

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٨٣).

أَنْزَلْتُهُ إِحْدَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ: إِنْ كَانَ فَوْقِي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ، وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ دُونِي لَمْ أَحْفَلْ بِهِ، هَذِهِ سِيَرتِي فِي نَفْسِي، فَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَإِنَّ أَرْضَ اللهِ وَاسِعَةٌ»(١).

قال أَبُو حاتم ابن حبان رحمه الله: «**الواجب على العاقل**:

- ✓ توطين النفس على لزوم العفو عَن الناس كافة،
- ✓ وترك الخروج لمجازاة الإساءة،
- ✓ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان
- ✓ ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها.

[٤٤] قال ابن حبان: ولقد أنشدني منصور بْن مُحَمَّد الكريزي ...

سألزم نفسي الصفح عَن كل مذنب ... وإن كثرت منه إليَّ الجرائمُ

فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاومُ

فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... وأتبع فيه الحق والحق لازمُ

وأما الذي دوني فإن قَالَ صنت عَن ... إجابته عرضي وإن لام لائمُ

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الحلم للفضل حاكمُ(٢)

[٤٥] وشتم رجلٌ الأحنفَ بنَ قَيْسٍ وَكَانَ يتبعه فلما قرب من الحي وقف وَقَالَ: «**يا فتي إِن بقي فِي قلبك شَيْء فقله كيلا يسمعك بَعْض سفهاء**

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – ط السعادة» (٤/ ٨٥).

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٦٧).

الحي فيجيبوك»[(١)].

[٤٦] ونالَ رجلٌ منْ عليِّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب المشهور بزين العابدين يوماً فجعل يتغافل عنه - يريه أنه لم يسمعه -، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِيَّاكَ أَعْنِي. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «**وَعَنْكَ أُغْضِي**»[(٢)].

[٤٧] وَخَرَجَ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، فَسَبَّهُ رَجُلٌ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالَ: «**دَعُوهُ**». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا سُتِرَ عَنْكَ مِنْ أَمْرِنَا أَكْثَرُ، أَلَكَ حَاجَةٌ نُعِينُكَ عَلَيْهَا؟**» فَاسْتَحْيَا الرَّجُلُ، فَأَلْقَى إِلَيْهِ خَمِيصَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَانَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: **أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ**[(٣)].

[٤٨] وقالَ أَبُو يَعْقُوْبَ المَدَنِيُّ: كَانَ بَيْنَ حَسَنِ بنِ حَسَنٍ وَبَيْنَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بعض الأمر، فجاء حسن بنِ حَسَنٍ إلى عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ وهو مع أصحابه في المسجد، فَمَا تَرَكَ شَيْئًا إِلاَّ قَالَهُ لهُ. قال: وَعَلِيٌّ سَاكِتٌ. فانصرف حسنٌ فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ أتاه في منزله فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له علي: «**يا أخي إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فيما قلت لي فَغَفَرَ اللهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَغَفَرَ**

---

(١) «الرسالة القشيرية» (٢/ ٣٩٩)، و «إحياء علوم الدين» (٣/ ٧١).

(٢) «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٤١/ ٣٩٥)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٠/ ٣٩٨)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٤٨٤ ت التركي).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٩٤)، وانظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٨٤ ت التركي).

اللهُ لَكَ، السَّلَامُ عَلَيْكم». وولى. قال: فاتبعه حسن فَالْتَزَمَهُ من خلفه وَبَكَى حتى رثى له، ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه. فقال علي: «**وأنت في حلٍ مما قلت لي**»(١).

[٤٩] ورُوِيَ عَنْ وَكِيْعٍ: أَنَّ رَجُلاً أَغلَظَ لَهُ، فَدَخَلَ بَيْتًا، فَعَفَّرَ وَجْهَه بِالتُّرَابِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ: «**زِدْ وَكِيْعًا بِذَنْبِهِ، فَلَولَاهُ، مَا سُلِّطْتَ عَلَيْهِ**»(٢).

[٥٠] وكان وكيع يقول: «**مَا نَعِيْشُ إِلَاّ فِي سِتْرِه، وَلَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ، لَكُشِفَ عَنْ أَمرٍ عَظِيْمٍ**»، وكان يقول: «**الصِّدْقُ النِّيَّة**»(٣).

[٥١] وقالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ يَقُولُ لِابْنِ عَيَّاشٍ المَنْتُوفِ: «**لَا تُغْرِقْ فِي شَتْمِنَا وَدَعْ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا، فَإِنَّا لَنْ نُكَافِئَ مِنْ عَصَى اللهَ فِينَا بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ نُطِيعَ اللهَ فِيهِ**»(٤).

[٥٢] وقال ابن بَرَّاد: تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٩٥).

(٢) «تاريخ بغداد ت بشار» (١٥/ ٦٤٧).

(٣) «الجرح والتعديل لابن أبي حاتم» (١/ ٢٢٣).

(٤) «جزء أبي عروبة الحراني برواية الأنطاكي» (١٨)، «الكرم والجود للبرجلاني» (٣٥)، «المجالسة وجواهر العلم» (١٦٠٢)، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٥/ ١١٣)، «شعب الإيمان» (٨١٠٦ ط الرشد)، «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٤٥/ ٢٧).

مساءة عمر بن ذر، فقام عمر فدخل منزله وكان ابن عمه، فندم ابن عياش فأتى عمر، فقَالَ: أيدخل الظالم؟ فقَالَ: «**نعم مغفورًا له، والله ما كافأت من عصى الله فيك، بمثل أن تطيع الله فيه**»(١).

[٥٣] وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ فَشَتَمَهُ فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «**إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللهُ لَكَ**»(٢).

[٥٤] وكان عبْدُ الله بن عَوْنٍ لَا يغْضَبُ، فَإِذَا أَغْضَبَهُ الرَّجُلُ قَالَ: «**بَارَكَ اللهُ فِيكَ**»(٣).

[٥٥] وَكَانَ لهُ نَاقَةٌ يَغْزُو عَلَيْهَا، وَيَحُجُّ، وَكَانَ بِهَا مُعجَبًا، فَأَمرَ غُلَامًا لَهُ يَسْتَقِي عَلَيْهَا، فَجَاءَ بِهَا وَقَدْ ضَرَبَهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَسَالتْ عَيْنُهَا عَلَى خَدِّهَا. فقالوا: إِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ عَوْنٍ شَيْءٌ، فَاليَوْمَ. قَالَ: فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّاقَةِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، أَفَلَا غَيْرَ الوَجْهِ، بَارِكَ اللهُ فِيْكَ، [فقال الغلام: فَقَأْتُ عَيْنَهَا فَتَقُولُ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، قَالَ: أَقُولُ أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ] اخْرُجْ عَنِّي، اشْهَدُوا أَنَّهُ حُرٌّ(٤).

[٥٦] وقال صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي يَوْمًا: إِنَّ فَضْلًا

---

(١) «تاريخ بغداد» ت بشار (١١/ ١٨٧).

(٢) «الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا» (٢٥٩).

(٣) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٣/ ٣٩).

(٤) «الطبقات الكبرى - ط دار صادر» (٧/ ٢٦٦)، وما بين قوسين من «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٣/ ٣٩).

الْأَنْمَاطِيَّ جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: اجْعَلْنِي فِي حِلٍّ. قَالَ: لَا جَعَلْتُ أَحَدًا فِي حِلٍّ أَبَدًا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ، فَلَمَّا مَضَتْ أَيَّامٌ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، مَرَرْتُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠]، فَنَظَرْتُ فِي تَفْسِيرِهَا، فَإِذَا هُوَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَ مُنَادٍ، فَنَادَى: لَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا**»، فَجَعَلْتُ الْمَيِّتَ(١) فِي حِلٍّ مِنْ ضَرْبِهِ إِيَّايَ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ: «**وَمَا عَلَى رَجُلٍ أَلَّا يُعَذِّبَ اللهُ بِسَبَبِهِ أَحَدًا**»(٢).

قال شمس الدين أبو عبد الله ابن مفلح المقدسي رحمه الله:

[٥٧] رَوَى الْخَلَّالُ عَنْ الْحَسَنِ رحمه الله قَالَ: «**أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْعَفْوُ**»(٣).

[٥٨] قال: وَرَوَى أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ مُجَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: «**كُلُّ النَّاسِ مِنِّي فِي حِلٍّ**»(٤).

---

(١) يعني المعتصم أمير المؤمنين الذي أمر بضربه.

(٢) «مكارم الأخلاق للخرائطي» (٣٧٨) وانظر ما تقدم برقم (١٦).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق/ ت الأعظمي» (٧٠٠) - وعنه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٦٠٤) - ولفظه: «أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ الْعَفْوُ» وهو في «الزهد لأحمد بن حنبل» (١٦٥٦) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «كَانُوا يَقُولُونَ: أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَفْوُ».

(٤) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٧١).

وقال أَبُو حاتم ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ:

«من أراد:

- ✓ الثواب الجزيل،
- ✓ واسترهان الود الأصيل،
- ✓ وتوقع الذكر الجميل ،

فليتحمل:

- ✓ من ورود ثقل الردى،
- ✓ ويتجرع مرارة مخالفة الهوى،

باستعمال السنة التي ذكرناها:

- ✓ في الصلة عند القطع،
- ✓ والإعطاء عند المنع،
- ✓ والحلم عند الجهل،
- ✓ والعفو عند الظلم؛

لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا»(١).

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٦٨).

كنْ مخموم القلب

[٥٩] قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو ﷺ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**» رواه ابن ماجه في سننه. ورواه البيهقي في "الشعب" وزاد: قَالُوا: فَمَنْ يَلِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ شَنِئُوا الدُّنْيَا، وَأَحَبُّوا الْآخِرَةَ**». قَالُوا: مَا نَعْرِفُ هَذَا فِينَا إِلَّا رَافِعًا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَنْ يَلِيهِ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ فِي حُسْنِ خُلُقٍ**». قَالُوا: أَمَّا هذه فإنها فينا(١).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦) قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا زيد بن واقد، حدثنا مغيث بن سمي عن عبد الله بن عمرو، به. وهذا إسناد حسن. من أجل هشام بن عمار، فإنه صدوق، لكنه متابع -كما سيأتي-، فالحديث صحيح. وعن هشام بن عمار رواه يعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٢٣) -ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٨٠)- قال: حدثنا هشام به وفيه الزيادة. والبلاذريّ، وابن أبي عاصم في الأدب، والحسن بن سفيان في مسنده -كما في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٣٧٢) كلهم عن هشام به. ومن طريق هشام بن عمار رواه: ابن منده في «معرفة الصحابة» (ص٥٨٧) -وفيه الزيادة-، وأبو عبيد الهروي في «الغريبين في القرآن والحديث» (٢/ ٥٩٩) -مختصرا-، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٦٤٣) -وفيه الزيادة دون قولهم: «أما هذه فإنها فينا»-، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٦٢ ط الرشد)، -وفيه الزيادة-، وأبو القاسم الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧٠٧)-وفيه الزيادة دون قولهم: «أما

=

فتأمل، **ما أعز هذا اليوم**: «**التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»، كيف لا، وقد عز وجود هَذَا فِي وقتهم على عهد رَسُول الله ﷺ.

فهو إذاً خلقٌ عزيزٌ، لا يكون إلا في الخَاصة من النَّاس الذي اصطفاهم الله ووفقهم، وهم قَلِيل فِي كل وَقت.

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ ﴾ [الواقعة].

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: «**المخموم مُؤمن ولج النُّور قلبه فَأخْرج مَا فِيهِ من شَهْوَة النَّفس**» ا.هـ(١).

هذه فإنها فينا» -، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٢٦٢، ٥٩/ ٤٥١) -وفيه الزيادة-. ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٢١٨) - ومن طريقه: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٨٣، ٦/ ٦٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٤٥٢)- قال أخبرنا طالب بن قرة الأذني، ثنا محمد بن عيسى الطباع، ثنا القاسم بن موسى، عن زيد بن واقد، به -وفيه الزيادة دون قولهم: «أما هذه فإنها فينا»-. ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول في أحاديث الرسول ط النوادر» (٣/ ٥٠١ رقم (٨١٧) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤٥) من طريق محمد بن المبارك، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثني زيد به. - وفيه الزيادة دون آخره-. والحديث سأل ابن أبي حاتم أباه عنه -كما في «العلل» (٥/ ١٤٨ ت الحميد) فقال: «هذا حديث صحيح حسن، وزيد محله الصدق، وكان يرى رأي القدر» ا.هـ. وصححه المنذري والألباني كما في «صحيح الترغيب » (٣/ ١٢٣).

(١) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٢/ ١٦٨).

دعاء مبارك

[٦٠] ومن دعوات الوحي المباركة قول رسول الله ﷺ في صلاته:

١. «اللهم بعلمك الغيبَ، وقدرتك على الخلق: أحيني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمتَ الوفاة خيراً لي،

٢. اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة،

٣. وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب،

٤. وأسألك القصد في الفقر والغنى،

٥. وأسألك نعيمًا لا ينفد،

٦. وأسألك قرة عين لا تنقطع،

٧. وأسألك الرضاء بعد القضاء،

٨. وأسألك برد العيش بعد الموت،

٩. وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة،

١٠. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»(١).

قال الحافظ زين الدين عبد الرحمن ابن رجب رحمه الله:

«وكان من دعائه ﷺ: «أسألك كَلِمَة الحقِّ في الغضب والرِّضا»

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي (١٣٠٥) عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

وهذا عزيزٌ جداً، وهو أنَّ الإنسان لا يقول سوى الحقِّ سواءٌ غَضِبَ أو رضي، فإنَّ أكثرَ الناس إذا غَضِبَ لا يَتوقَّفُ فيما يقول» ا.هـ(١).

[٦١] ومن دعوات الوحي المباركة ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقول في دُعَائه: «...**سَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»(٢).

وسخيمة الصدر: ما فيه من الغل والغش، والحسد ونحو ذلك.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٣٥٤ ت الفحل).

(٢) رواه أبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١٠٣٦٨)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وأحمد (١٩٩٧). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه ابن حبان (٩٤٧، ٩٤٨)، والحاكم (١٩١٠).

دعاء التابعين بإحسان

وربنا سبحانه وتعالى قال عن دعاء التابعين للصحابة بإحسان، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

فهم يسألون الله تعالى أن يعينهم على أنفسهم، وأن يجعل لهم قلوباً سليمة من الغل للصالحين، والسلف الماضين.

من دعاء نبي الله داود عليه السلام

[٦٢] وروي أنه كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ، وَمِنْ زَوْجٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ الْمَشِيبِ، وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ وَبَالًا**(١)، **وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا، وَمِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ عَيْنَاهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا**»(٢).

قال المُنَاوي رحمه الله:

«(**من خَلِيل ماكر**)، أَي: يظْهر الْمحبَّة والوداد وَهُوَ فِي بَاطِن الْأَمر

---

(١) وفي رواية: «... وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ رِبًا، ...».

(٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٥٠٥)، وأبو سعيد الأشج في «حديثه (٦٩)» -ومن طريقه بحشل في «تاريخ واسط» (١١٢)- قالا (هناد والأشج): حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدٍ -وهو المقبري- قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ ... فذكره. وتابعهما ابن أبي شيبة كما في مصنفه (٢٩٣٨٣) لكن مختصرا، قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ». **وخالفهم الحسن بن حماد الحضرمي** -وهو صدوق كما في التقريب- فقال: ثنا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فذكره. رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩)، وجود إسناده العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧) وهو كذلك لولا المخالفة، فابن حماد خالفه من هو أوثق منه، كما تقدم. ويؤيده أنه قد رواه الخطابي في «العزلة» (ص٣٨) من طريق ابن وهب قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: فذكره.

محتال مخادع.

(**عَيناهُ تريانِي**)، أَي: ينظر إليّ بهما نظر الْخَلِيل لخليله خداعاً ومداهنة.

(**وَقَلبه يرعانِي**) يُرَاعِي إيذائي وَهُوَ لَهُ بالمرصاد.

(**إن رأى**) مني (**حَسَنَة**)، أَي: علم مني بِفعل حَسَنَة.

(**دَفنهَا**) سترهَا وغطاها كَمَا يدْفن الْمَيِّت.

(**وَإِن رأى**) مني (**سَيِّئَة**)، أَي: علم مني بِفعل خَطِيئَة زللت بهَا.

(**أذاعها**» نشرها وَأظْهر خَبَرهَا بَين النَّاس»(١).

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢٢٢).

الزم العفو

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران].

قال العلامة السعدي رحمه الله:

« ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم -وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول والفعل-، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ٤٠].

ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن وأعلى وأجل، وهي الإحسان، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

والإحسان نوعان:

- الإحسان في عبادة الخالق،
- والإحسان إلى المخلوق،

فالإحسان في عبادة الخالق: فسره النبي ﷺ بقوله:

[٦٣] «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك:

- ✓ أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر،
- ✓ وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم،
- ✓ والنصيحة لعامتهم وخاصتهم،
- ✓ والسعي في جمع كلمتهم،
- ✓ وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم،

على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك:

- ✓ بذل الندى،
- ✓ وكف الأذى،
- ✓ واحتمال الأذى،

كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبيده»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص١٤٨).

فاصفح الصفح الجميل

ذكر أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**أن من آدب الصحبة**: الصَّفْحَ عَنْ عَثَرَاتِ الْإِخْوَانِ، وَنِسْيَانَهَا، وَتَرْكَ تَأْنِيبِهِمْ عَلَيْهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر]، قال: وفِي التَّفْسِيرِ: **أَنْ لَا يَكُونَ فِيهِ تَقْرِيعٌ، وَلَا تَأْنِيبٌ، وَلَا تَوْقِيفٌ، وَلَا مُعَاتَبَةٌ**. وَقِيلَ أَيْضًا: **هُوَ رِضًا بِلَا عَتَّابٍ**...

[٦٤] وقالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «**الْفُتُوَّةُ**(١): **الْعَفْوُ عَنْ عَثَرَاتِ الْإِخْوَانِ**»...

[٦٥] وعَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: «**تَنَاسَ مَسَاوِئَ الْإِخْوَانِ، يَدُمْ لَكَ وُدُّهُمْ**»(٢).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا،

---

(١) قال الجرجاني في «التعريفات» (ص١٦٥): «الفتوة: في اللغة السخاء والكرم، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة» ا.هـ.

(٢) ينظر: «آداب الصحبة» (ص٤٦).

وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى» ا.هـ(١).

ومن جميل ما ذكر للإمام الشافعي رحمه الله قوله:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أُبْغِضُهُ ... كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ

ولست أسلم من خلٍّ يخالطني ... فكيف أسلم من أهل العداواتِ؟

النَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ ... وَفِي اعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ(٢)

ونسبت الأبيات لهلال بن العلاء الرقي أيضا وفيها من الزيادة:

فَسالِم الناسَ تَسلَم مِن غوائِلِهِم ... وَكُن حَريصًا عَلى كَسبِ التقياتِ

وَخالِقِ الناسَ وَاصبِر ما بُلَيتَ بِهِم ... اَصَمٌّ اَبكَمٌ اَعمى ذا تقيات(٣)

---

(١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٤٣٤).

(٢) ينظر: «ذكر شيوخ الشريف أبي الفضل ابن المهدي» (ص٥)، و«أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي (ص١٨٢)، و«مناقب الشافعي للبيهقي» (٢/ ٨٧).

(٣) ينظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لابن حبان (ص١٦٩)، و«الصداقة والصديق» (ص٥٢) لأبي حيان التوحيدي، و«بداية الهداية» للغزالي (ص٦٩)، و«كتاب الأربعين الطائية» للهمذاني (ص١٨٩)، و«الطيوريات» (٢/ ٢٦٢).

ملك الجبال يستأذن

وتأمل في العفو عند المقدرة من نبينا ﷺ بعد أن أوذي أشد الأذى.

[٦٦] ففي الصحيحين أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ(١)؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(٢).

(١) الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب الجبل الغليظ.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

العز والرفعة مع العفو

والعفو عن الزلات والهَنَات والمظلمات ليس ضعفًا ولا نقصانًا، بل هو رفعةٌ لصاحبه وعزٌّ.

[٦٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(١).

[٦٨] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ:

-كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةً، وَالسَّابِعَةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا-،

١- قَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَتْقَى؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى،

٢- قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى؟ قَالَ: الَّذِي يَتْبَعُ الْهُدَى،

٣- قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ،

٤- قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ، (حَتَّى) يَجْمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ،

٥- قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ،

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

٦- قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: الَّذِي يَرْضَى بِمَا يُؤْتَى،

٧- قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْقَرُ؟ قَالَ: صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ»(١)،

ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرٍ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ وَتُقَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»(٢).

[٦٩] وقَالَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْعِفَّةُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَالتَّجَاوُزُ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ»(٣)

---

(١) قال أبو حاتم ابن حبان قوله: «صاحب منقوص» يريد به: منقوص حالته، يستقل ما أوتي، ويطلب الفضل» ا.هـ. وفي رواية ابن عساكر: «صاحب سقر» وعند الديلمي بالفاء.

(٢) رواه ابن حبان (٦٢١٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/ ١٣٥) عن ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن أبا السمح، حدثه، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة به وإسناده حسن. ورواه الخلعي في «التاسع من الخلعيات» (٤٧/ بترقيم الشاملة) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٣٦٩)، -ومن طريقه وطريق غيره، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/ ١٣٤)- من طريق ابن لهيعة، قال: حدثنا دراج أبو السمح، به، نحوه. ورواه الديلمي -كما في «زهر الفردوس» (١٦٩٩) من طريق ابن لال بسنده عن يونس بن عبد الأعلى عن عمرو بن الحارث، ومن طريق أبي نعيم بسنده عن حرملة ويونس عن ابن وهب به نحوه. والحديث حسنه العلامة الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣٣٥٠).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس لابن أبي الدنيا» (٣٤)، وفي «مكارم الأخلاق» (٤٢)، وابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٦٧)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «التوبيخ والتنبيه» (٥٨).

الجزاء من جنس العمل

[٧٠] وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ**(١)، **وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**»(٢).

«(**وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ**...): شبه أسماع الَّذين لَا ينجع فيهم الْوَعْظ وَلَا يعْملُونَ بِهِ بالأقماع الَّتِي لَا تعي شَيْئا مِمَّا يفرَّغ فِيهَا. وَفِي المقامات: كم من نصيحة نصحت بهَا فَلم يُوجد لَك قلب واع وَلَا سمع رَاع كأنَّ أُذُنك بعض الأقماع وَلَيْسَت من جنس الأسماع»(٣).

فيا من تحب أن يعفو الله عنك،

ويا من تحب أن يرحمك الله:

اعلم أن الجزاء من جنس العمل،

فارحم ترحم، واعف يعف الله عنك.

(١) قال السندي: «الأقماع: جمع قُمْع، بضم أو كسر فسكون، أو كعنب، هو ما يوضع في فم الإناء إذا صب فيه دهن أو غيره، وفي فم القربة إذا صب فيه الماء». وفي «النهاية»: «شبه الذين يستمعون القول ولا يعونه، بالأقماع التي لا تمسك شيئًا مما يفرغ فيها».

(٢) رواه أحمد (٦٥٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨٢).

(٣) «الفائق في غريب الحديث للزمخشري» (٣/ ٢٢٥).

ألا تحبون أن يغفر الله لكم

وتأمل قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور].

[٧١] وهذه الآية المباركة نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، فقد قالت أُمُّنا عائشة الصديقة بنت الصديق ﷺ: « ... فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ ﷺ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بَلَى وَاللهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا»(١).

(١) رواه البخاري (٤٧٥٠).

في عفو الصديقة عائشة رضي الله عنها

وتأمل موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من شاعر رسول الله ﷺ والمنافح عنه حسان بن ثابت رضي الله عنه، -وكان قد ابتلي في هذه الحادثة بالكلام فيها-، فإنها عفت وصفحت عنه، بل وكانت تمنع من سبه وتذكر فضله.

[٧٢] فعَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ رضي الله عنه عِنْدَ عَائِشَةَ (وفي رواية: سَبَبْتُ حَسَّانَ -يعني: عِنْدَ عَائِشَةَ- وَكَانَ مِمَّنْ كَثَّرَ عَلَيْهَا)، فَقَالَتْ: «**[يَا ابْنَ أُخْتِي دَعْهُ] لاَ تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ المُشْرِكِينَ، قَالَ «**كَيْفَ بِنَسَبِي؟**» قَالَ: لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ(١).

[٧٣] وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه يُنْشِدُهَا شِعْرًا، يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ: وَقَالَ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ، قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكِ؟ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور] فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ العَمَى؟ ثم قَالَتْ لَهُ:

---

(١) رواه البخاري (٣٥٣١، ٤١٤٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٤٨٧) وله الزيادة.

«إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ، أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ »(١)

فهذه أخلاق الصديقة رضي الله عنها مع من ثبت خطؤه الكبير في حقها -تقديراً لمنافحته عن رسول الله ﷺ -.

فلله درها، إنها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، حبيبة رسول الله ﷺ، التي آثرت ما عند الله الذي يبقى، على ما في هذه الدنيا الذي يذهب ويفنى.

(١) رواه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

وصية

الإمام الشافعي رحمه الله لتلميذه يونس رحمه الله

[٧٤] «وعنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى أنه قالَ: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ:

يَا يُونُسُ إِذَا بُلِّغْتَ عَنْ صَدِيقٍ لَكَ مَا تَكْرَهُهُ:

فَإِيَّاكَ أَنْ تُبَادِرَ بِالْعَدَاوَةِ وَقَطْعِ الْوَلَايَةِ فَتَكُونَ مِمَّنْ أَزَالَ يَقِينَهُ بِشَكٍّ،

وَلَكِنِ الْقَهُ، وَقُلْ لَهُ: بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا وَأَجْدَرُ أَنْ تُسَمِّيَ الْمُبَلِّغَ،

فَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ أَصْدَقُ وَأَبَرُّ، وَلَا تَزِيدَنَّ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا،

وَإِنِ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ فَرَأَيْتَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجْهًا بِعُذْرٍ فَاقْبَلْ مِنْهُ،

وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ ذَلِكَ فَقُلْ لَهُ: مَاذَا أَرَدْتَ بِمَا بَلَغَنِي عَنْكَ؟

فَإِنْ ذَكَرَ مَا لَهُ وَجْهٌ مِنَ الْعُذْرِ فَاقْبَلْهُ،

وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ لِذَلِكَ وَجْهًا لِعُذْرٍ، وَضَاقَ عَلَيْكَ الْمَسْلَكُ فَحِينَئِذٍ أَثْبِتْهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً أَتَاهَا،

ثُمَّ أَنْتَ فِي ذَلِكَ بِالْخِيَارِ:

إِنْ شِئْتَ كَافَأْتَهُ بِمِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْتَ عَنْهُ،

وَالْعَفْوُ أَبْلَغُ لِلتَّقْوَى، وَأَبْلَغُ فِي الْكَرَمِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى: ٤٠].

فَإِنْ نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ بِالْمُكَافَأَةِ فَاذْكُرْ فِيمَا سَبَقَ لَهُ لَدَيْكَ، وَلَا تَبْخَسْ بَاقِي إِحْسَانِهِ السَّالِفَ بِهَذِهِ السَّيِّئَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ الظُّلْمُ بِعَيْنِهِ.

وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يَقُولُ: **رَحِمَ اللهُ مَنْ كَافَأَنِي عَلَى إِسَاءَتِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَ وَلَا يَبْخَسَ حَقًّا لِي.**

يَا يونُسُ إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ، فَشُدَّ يَدَيْكَ بِهِ فَإِنَّ اتِّخَاذَ الصَّدِيقِ صَعْبٌ وَمُفَارَقَتُهُ سَهْلٌ.

وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ يُشَبِّهُ سُهُولَةَ مُفَارَقَةِ الصَّدِيقِ بِصَبِيٍّ يَطْرَحُ فِي الْبِئْرِ حَجَرًا عَظِيمًا فَيَسْهُلُ طَرْحُهُ عَلَيْهِ، وَيَصْعُبُ إِخْرَاجُهُ عَلَى الرِّجَالِ البرك فَهَذِهِ وَصِيَّتِي لَكَ. وَالسَّلَامُ »(١).

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – ط السعادة» (٩/ ١٢١).

إنما الحلم بالتحلم

واعلم:

- ✓ أنه من يتحرَّ الخير يُعطَه،
- ✓ ومن يتق الشر يُوَقَّه،
- ✓ ومن سعى في تأديب نفسه، وحملها على أحسن الأخلاق أعين عليها. فإن اكتساب الحلم طريقه التحَلُّم -أي تكلف الحلم- كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم،

[٧٥] وقد روي عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوَقَّهُ**»(١).

قال المناوي رحمه الله: «**(وإنما الحلم بالتحلم)**، أي: ببعث النفس وتنشيطها إليه قال الراغب: الحلم إمساك النفس عن هيجان الغضب، والتحلُّم إمساكها عن قضاء الوطر إذا هاج الغضب، **(ومن يتحر الخير يعطه)**، أي: ومن يجتهد في تحصيل الخير يعطه اللّه تعالى إياه»(٢).

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (ص٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة (٣٤٢)». ورجح الدارقطني وقفه على أبي الدرداء رضي الله عنه كما في «العلل» (١٠/ ٣٢٦) رقم (٢٠٣٧).

(٢) «فيض القدير» (٢/ ٥٦٩).

من حِلْمُ الأنبياء

وتأمل معي رحمك الله في حلم الأنبياء عليهم السلام، الذين كانوا يعاملون أقوامهم بِالرَّحْمَةِ والنصح والإشفاق مَعَ أذاهم لَهُم وتكذيبهم إيَّاهُم واستهزائهم بهم.

وما قص الله علينا في القرآن من قصص الأنبياء إلا ليكون لنا في ذلك أعظم العظة والاعتبار كما قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

ومن عظيم فوائد قصصهم:

- ✓ أن يتعلَّمَ الدعاةُ إلى الله من الأنبياء الأدبَ في الدعوة،
- ✓ ويتأملوا في لِينِهِمْ وَعَطْفِهِمْ، وَلِينِ كَلَامِهِمْ، وكرمِ مخاطبتِهم، وعدمِ بذاءتِهم وبُعدِ كلامِهم عن كلامِ الجاهلين.

فهذا نبيُّ اللهِ نوح عليه السلام، أول رسول بعثه الله، فدعا قومه إلى التوحيد والهدى، فقابلوه بالتكذيب والأذى،

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأعراف]،

وهو عليه السلام يعلمُ أنهم هم الضالونَ، وأنه هو المهتدِي

والذي يَعِيبُكَ ويلمزُك بعيبٍ أنتَ تعلمُ أنه فيه هو، وأنك أنتَ بَرِئٌ منه فهذا مما يستدِعي الغضبَ، والكلامَ الشديدَ، والردَّ العنيفَ.

فَنَبِيُّ اللهِ نوحٌ عليه السلام لم يَقُلْ لهم شيئًا من ذلك، ولم يَرُدَّ عليهم رَدًّا عنيفًا،

وإنما رَدَّ بأكرمِ العبارةِ، وألطفِ الردِّ، وترقق لهم لعلهم ينقادون له

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ ﴾ [الأعراف]، فلم يَقُلْ: أنتم هم الكفرةُ الفجرةُ الضُلاّلُ،

ولم يقذع فيهم بلسانِه، بل بالعباراتِ اللطيفةِ اللينةِ،

وهذا تعليمٌ من اللهِ لخلقِه، **أن الداعيَ المتبعَ لآثارِ الرسلِ إذا قَابَلَهُ الجهلةُ ببذاءةِ اللسانِ وَعَابُوهُ وتكلموا له بالقبيحِ، أنه لا يقابلهم إلا بالقولِ اللَّيِّنِ اللطيفِ، والحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، كما هي عادةُ الرسلِ في خطاباتِهم لأُمَمِهِمْ.**

وهكذا نبي الله هود عليه السلام

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ ﴾ [الأعراف]

فردوا دعوته، وقدحوا في رأيه واتهموه في عقله

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦ ﴾ [الأعراف].

فقابلهم هودٌ عليه السلام بهذا الردِّ اللطيفِ، وَالتَّأَنِّي الكريمِ، والتؤدةِ العظيمةِ،

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي ﴾ [الأعراف].

أي ليس بِي شيءٌ من طيشِ العقلِ ولا من خِفَّتِهِ، وإنما أنا راجحُ العقلِ ثابتُه، ثابتُ الْحِلْمِ، لستُ بطائشٍ ولَا خفيفٍ.

قال بعض المفسرين:

«وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام -مَن نَسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم- حرف رفق ولين، وأدب حسن وخلق عظيم. وحكاية الله عزّ وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم، وعلى ذلك كان أمر الأنبياء والرسل أن يعاملوا قومهم؛ لأن ذلك أنجع في القلوب، وأدعَى إلى القبول»(١).

ومن المشهورين بالحلم: الأحنف بن قيس التميمي، وهو أَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِحِلْمِهِ وَسُؤْدُدِهِ المَثَلُ.

[٧٦] وكان يقول: «**إِنَّنِي لَسْتُ بِحَلِيمٍ وَلَكِنِّي أَتَحَالَمُ**»(٢).

(١) ينظر: «تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (٢/ ١١٦)، و«تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٩٣)، و«العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٣/ ٤٧٣، و٤٨٠).

(٢) «الطبقات الكبرى - ط دار صادر» (٧/ ٩٥)، و«تاريخ ابن معين - رواية ابن محرز» (٢/ ٣٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢٧٢٧٣ ت الشثري)، و«الزهد لأحمد بن حنبل» (١٢٩٥).

ترجيح العفو يكون مع الإصلاح

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشورى]

✓ ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

ذَكَرَ اللهُ الِانْتِصَارَ فِي الْبَغْيِ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ، وهو في حق الْبَاغِي المعلن بالفجور.

وأما المعترف بالزلة، السائل للمغفرة فالعفو في حقه أفضل وَفِي مِثْلِهِ نَزَلَتْ: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور: ٢٢].

✓ وقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الآيات.

فيه أن الانتصار ممن بُغِيَ عليه يكون من غير اعتداء بالزيادة على المقدار.

✓ وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾

فيه بيان أن من دعا على من ظلمه فقد انتصر بدعائه.

[٧٧] وقد روى الترمذي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدْ انْتَصَرَ»(١).

قال أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري رحمه الله:

فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الدَّاعِيَ عَلَى ظَالِمِهِ مُنْتَصِرٌ وَلَيْسَ بِعَافٍ عَنْهُ وَلَا مُتَجَاوِزٍ، وَمَنْ عَفَا وَجَبَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، فَكَأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ الْمُنْتَصِرَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَالْمُسْتَعْدِيَ عَلَيْهِ قَدِ اسْتَوْفَى حَقَّهُ مِنْ ظَالِمِهِ فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِ فِي انْتِصَارِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِبْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى: ٤١]،

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى: ٤٠]

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ [النور: ٢٢]. (٢).

وقال القاضي المفسر أبو بكر ابن العربي المالكي رحمه الله:

ذَكَرَ اللهُ الِانْتِصَارَ فِي الْبَغْيِ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ، وَذَكَرَ الْعَفْوَ عَنْ الْجُرْمِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ؛ فَاحْتُمِلَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا رَافِعًا لِلْآخَرِ.

وَاحْتُمِلَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَاجِعًا إلَى حَالَتَيْنِ:

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٢) وضعفه فقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي حمزة، وقد تكلم بعض أهل العلم في أبي حمزة من قبل حفظه، وهو: ميمون الأعور ا.هـ وقال في العلل الكبير (ترتيب علل الترمذي الكبير (ص: ٣٦٦) رقم (٦٨١): سألت محمدا -يعني شيخه الإمام البخاري رحمه الله- عن هذا الحديث فقال: لا أعلم أحدا روى هذا الحديث غير أبي الأحوص، ولكن هو عن أبي حمزة، وضعف أبا حمزة جدا ا.هـ

(٢) «بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار» (ص٣٠٨)

إِحْدَاهُمَا أَنْ يَكُونَ الْبَاغِي مُعْلِنًا بِالْفُجُورِ، وَقِحًا فِي الْجُمْهُورِ، مُؤْذِيًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، فَيَكُونَ الِانْتِقَامُ مِنْهُ أَفْضَلَ.

[٧٨] وَفِي مِثْلِهِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يُكْرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُذِلُّوا أَنْفُسَهُمْ، فَيَجْتَرِئَ عَلَيْهِمُ الْفُسَّاقُ.(١)

الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ الْفَلْتَةَ، أَوْ يَقَعَ ذَلِكَ مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِالزَّلَّةِ، وَيَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ، فَالْعَفْوُ هَاهُنَا أَفْضَلُ، وَفِي مِثْلِهِ نَزَلَتْ: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقَوْله تَعَالَى: ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ [المائدة: ٤٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: ٢٢]. ا.هـ(٢).

وقال الإمام الفقيه ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

العفو المندوب إليه ما كان فيه إصلاح؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ فإذا كان في العفو إصلاح، مثل أن يكون القاتل معروفاً بالصلاح؛ ولكن بدرت منه هذه البادرة النادرة؛ ونعلم، أو يغلب على ظننا أنا إذا عفونا عنه استقام، وصلحت حاله، فالعفو أفضل لا سيما إن كان له ذرية ضعفاء، ونحو ذلك؛ وإذا علمنا أن القاتل معروف بالشر، والفساد، وإن عفونا عنه لا يزيده إلا فساداً، وإفساداً فترك العفو عنه

---

(١) تقدم تخريجه برقم (١٨) ولفظه: «كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُسْتَذَلُّوا فَإِذَا قَدَرُوا عَفَوْا»

(٢) «أحكام القرآن لابن العربي ط العلمية» (٤/ ٩٢)، وبهذا قال الكيا الهراسي في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٦٧)، واستحسنه القرطبي في «تفسيره، الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣٩).

أولى؛ بل قد يجب ترك العفو عنه. ا.هـ(١)

وقال رحمه الله:

«العفو الذي يحبه الله: هو الذي فيه إصلاح؛ لأن الله اشترط ذلك في العفو فقال: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ أي: كان عفوه مشتملاً على الإصلاح، وقال بعضهم: أي أصلح الود بينه وبين من أساء إليه، وهذا تفسير قاصر، والصواب أن المراد به أصلح في عفوه؛ أي: كان في عفوه إصلاح. فمن كان عفوه إفساداً لا إصلاحًا؛ فإنه آثم بهذا العفو، ووجه ذلك من الآية ظاهر؛ لأن الله قال: ﴿ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾، ولأن العفو إحسان والفساد إساءة، ودفع الإساءة أولى، بل العفو حينئذ محرم. ا.هـ(٢)

(١) «تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة» (٢/ ٣٠٢).

(٢) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ٢٧٨).

خاتمة

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر: ١٠]

[٧٩] «**اللَّهُمَّ أَغْنِنا بِالْعِلْمِ، وَزَيِّنّا بِالْحِلْمِ، وَأَكْرِمْنا بِالتَّقْوَى، وَجَمِّلْنا بِالْعَافِيَةِ**»(١).

[٨٠] قال الحُسَين بن عَلِيٍّ، ﷺ: «**لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر إليَّ في أذني هذه لقبلت منه**»(٢).

[٨١] وَقَالَ الْأَحْنَفُ: «**إِنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ تَلَقَّهُ بِالْبِشْرِ**»(٣).

ولله درُ من قال:

قِيلَ لِي قَدْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فُلَانُ ... وَقُعُودُ الْفَتَى عَلَى الضَّيْمِ عَارُ

قُلْتُ قَدْ جَاءَنَا فَأَحْدَثَ عُذْرَا ... دِيَةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الِاعْتِذَارُ(٤)

---

(١) روي هذا الدعاء مرفوعا عن النبي ﷺ لكن لا يصح سنده، انظر: «الحلم لابن أبي الدنيا» (ص٢٠)، «ترتيب الأمالي الخميسية للشجري» (١/ ٦٥) (٢٣٠)، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٣٢٧٨).

(٢) «الأسامي والكنى - أبو أحمد الحاكم - ت الأزهري» (٤/ ٣٩٣) ووقع في بعض الكتب منسوبا (للحسن بن علي ﷺ).

(٣) ««الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٣٠٢)، «بهجة المجالس وأنس المجالس» (ص١٠٦).

(٤) المرجع السابق.

والحمد لله رب العالمين

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

المحتويات

مقدمة ٥
تمهيد ٧
صاحبك ليس بمعصوم ١٠
عرش الشيطان ١٢
القرين المَلَكِي ١٧
القرين الجني ٢٠
من حديث النفس ٢٣
تفسير الآية ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ٢٤
عفو الأنبياء ٢٧
نبيٌّ يعفو عن قومه وقد ضربوه بل ويدعو لهم ٢٨
نبينا ﷺ يعفو عن ثمانين رجلا هَمُّوا بقتله ٣٠
نبينا ﷺ يعفو عن أعرابي همَّ بقتله ٣١
نبينا ﷺ يعفو عمن سحره ٣٣
نبينا ﷺ يعفو عن يهودية وضعت له السمَّ في طعامه ٣٥
خدمة أنس بن مالك رضي الله عنه لنبينا ﷺ ٣٨
من سير السلف ٤١
كنْ مخموم القلب ٤٨
دعاء مبارك ٥٠
دعاء التابعين بإحسان ٥٢

من دعاء نبي الله داود عليه السلام ٥٣
الزم العفو ٥٥
فاصفح الصفح الجميل..... ٥٧
ملك الجبال يستأذن ٥٩
العز والرفعة مع العفو..... ٦٠
الجزاء من جنس العمل..... ٦٢
ألا تحبون أن يغفر الله لكم..... ٦٣
في عفو الصديقة عائشة رضي الله عنها..... ٦٤
وصية الإمام الشافعي رحمه الله لتلميذه يونس رحمه الله ٦٦
إنما الحلم بالتحلم ٦٨
من حِلْمُ الأنبياء..... ٦٩
ترجيح العفو يكون مع الإصلاح..... ٧٢
خاتمة..... ٧٦
المحتويات..... ٧٨
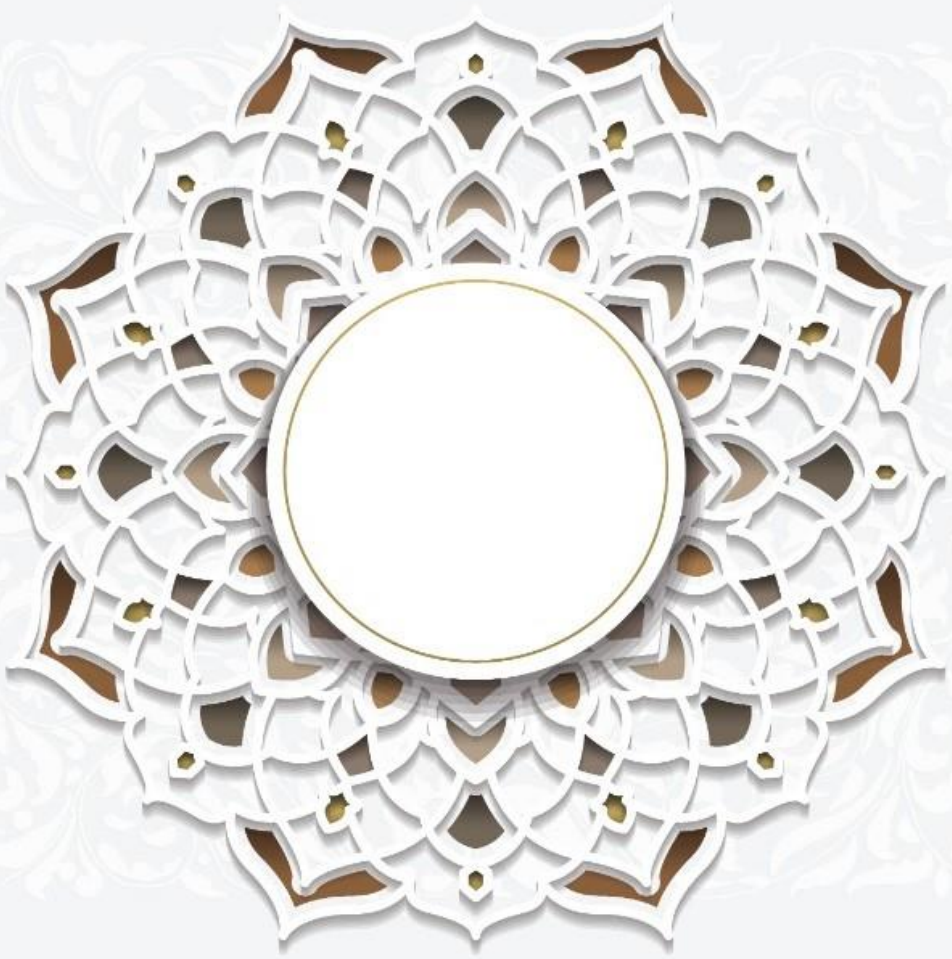
تم الصف والإخراج بإشراف
دار الصابرين للتنسيق والمراجعة
اليمن-الحديدة- مركز الصابرين العلمي
a44443332@gmail.com